

الباب السابع

أضرار السحر

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: دور السحر في إضراره بالأمّة الإسلامية.

الفصل الثاني: دور السحر في إضراره بالأسرة.

الفصل الثالث: دور السحر في إضراره بجسد الإنسان.

الفتن الكبرى

دور السحر في ضرره بالأمّة الإسلامية

لا شك أن للسحر ضررًا كبيرًا بالأمّة الإسلامية.

والضرر الأول وهو الأخطر بأنه يضر بالعقيدة الإسلامية لتلك الأمّة، التي أمرها الله - عَزَّ وَجَلَّ - بالتوحيد والإخلاص ونهاه عن الشرك به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بل توعد سبحانه كل من يشرك به أن لا يغفر له، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وهذا أعظم ذنب عصا به العبد ربه، والسحر ناقض من نواقض الإسلام لمن تعلمه وعمل به، وكُفِّرَ لمن صدق الذي يتعامل به، وهذان الصنفان من الأمّة كافران بالله، والصنف الثالث ذهب إلى الساحر، إما جاهلاً وإما غير مصدقاً لكنه يريد أن يفك سحره فقط، وهذا الصنف الثالث لا تقبل منه طاعة ولا عبادة فترة أربعين يوماً كما جاء في الحديث الصحيح، عن النبي ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»^(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»^(٢).

(١) سبق تخرجه.

(٢) سبق تخرجه.

السحر

والصنف الرابع هم الذين عافاهم الله - عَزَّ وَجَلَّ - في عقيدتهم وتوحيدهم، فأصبحت الأمة كبيرة في الحجم وكثيرة في العدد لكن قليل منهم من يحمل في قلبه التوحيد الخالص، فأصبحت الأمة غناءً كغناء السيل.

فإن عصت الأمة الإسلامية ربها - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، ودخلت في ظلمات الشرك إن كان شركاً كبيراً أو أصغراً تفقد الأمة الإسلامية أهم شيء ألا وهو معية الله الخاصة بعباده المؤمنين وتأييده لهم ونصره لهم ودفاعه عنهم - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، فتجد الأمة في مذلة وانكسار من أعدائها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

كيف يدافع عنا - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ونحن معرضون عن أمره، وندعو غيره، ونرجو غيره، ونطلب النفع من غيره، ونريد أن ندفع الضر من غيره - عَزَّ وَجَلَّ -. كيف ينصرنا - عَزَّ وَجَلَّ - ونحن بعيدون عن أمره وتعامل بهذا الشر المستطير «السحر» نعلم أن تعلمه كفر وتعلمه، نعلم أن الذي يذهب إلى الساحر والكاهن ويصدقه يكفر، ونذهب إليه ونصدق.

والناظر إلى حال الأمة من قبلنا يجد كيف كان الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يدافع عن المؤمنين الذين حققوا الإيمان الخالص الصادق.

انظر إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما هاجمه فرعون وجنوده، قال علماء التفسير: «لما ركب فرعون في جنوده طالباً بني إسرائيل يبقو أثرهم كان في جيش كثيف عرمرم، حتى قيل: كان في خيوله مائة ألف فحل أدهم وكانت عدة جنوده تزيد على ألف ألف وستمائة ألف، فإله أعلم، وقيل: إن بني إسرائيل كانوا نحواً من

ستمائة ألف مقاتل غير الذرية، لحقهم فرعون بجنوده فأدركهم عند شروق الشمس، وتراءى الجمعان، ولم يبق ثم ريب ولا لبس، وعان كل من الفريقين صاحبه وتحققه ورآه ولم يبق إلا المقاتلة والمجادلة والمحاماة.

فعندما قال أصحاب موسى وهم خائفون: ﴿إِنَّا لَمُذَكَّرُونَ﴾ وذلك لأنهم اضطروا في طريقهم إلى البحر فليس لهم طريق ولا محيد إلا سلوكه وخوضه.

فقال لهم الرسول الصادق المصدوق: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ ويقال: إن مؤمن آل فرعون جعل يقتحم بفرسه مراراً في البحر، هل يمكن سلوكه؟ فلا يمكن، ويقول لموسى عَلَيْهِ السَّلَام: يا نبي الله... ها هنا أمرت؟ فيقول: نعم، فلما تفاقم الأمر وضاق الحال واشتد الأمر، واقترب فرعون وجنوده في جدهم وحدهم وحديدتهم، وغضبهم وحنقهم، وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، عند ذلك أوحى الحليم العظيم القدير، رب العرش الكريم إلى موسى الكليم: ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ فلما جاوز موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ البحر هو ومن آمن معه من بني إسرائيل سلك فرعون البحر هو وجنوده فارتطم عليهم البحر كما كان، فلم ينبج منهم إنسان، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾.

ومن هنا الواجب على الأمة أن تعود إلى خالقها سبحانه حتى تنعم بنصره وتأيده.

السحر

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِرِينَ﴾.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

«كم» خبرية تفيد التأكيد، يعني: فئة قليلة غلبت فئة كثيرة عدة مرات، أو فئات قليلة متعددة غلبت فئات كثيرة متعددة، لكن لا بحولهم ولا بقوتهم، بل بإذن الله، أي: بإرادته وقدرته، ومن ذلك: أصحاب طالوت غلبوا عدوهم وكانوا كثيرين، ومن ذلك: أصحاب بدر غلبوا قريشاً وهم كثيرون». اهـ.

ومن الأضرار التي تقع على الأمة الإسلامية في عقيدتها ادعاء هؤلاء السحرة أنهم يعلمون الغيب أو تصديق بعض الناس بهم وهذا مما يضر ضرراً كبيراً في الأمة الإسلامية لأنه لا يعلم الغيب إلا الله لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ومن باب أولى الجن والإنس، هم أيضاً لا يعلمون الغيب، فالغيب من الأشياء التي اختصها الرب - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لنفسه فلا أحد يشاركه سبحانه فيها.

سئل العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ما حكم من يدعي علم الغيب؟

قال: «الحكم فيمن يدعي علم الغيب أنه كافر، لأنه مكذب لله عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُنْعَثُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥]، وإذا كان الله - عَزَّ وَجَلَّ - يأمر نبيه محمداً ﷺ أن يعلن للملأ أنه لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله، فإن من ادعى علم الغيب فقد كذب الله - عَزَّ وَجَلَّ - في هذا الخبر.

ونقول لهؤلاء: كيف يمكن أن تعلموا الغيب والنبى ﷺ لا يعلم الغيب؟! هل أنتم أشرف أم الرسول ﷺ؟! فإن قالوا: نحن أشرف من الرسول، كفروا بهذا القول، وإن قالوا: هو أشرف، فنقول: لماذا يحجب عنه الغيب وأنتم تعلمونه؟!

وقد قال الله - عزَّ وجلَّ - عن نفسه: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَيَنْخُلُ مِنْ خَلْفِهِ ۚ رَصَدًا ۝﴾ [الحج: ٢٦-٢٧]، وهذه آية ثانية تدل على كفر من ادعى الغيب وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعلن للملأ بقوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۚ إِنَّا نَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْنَا ۚ﴾ (١) اهـ.

ومن الأضرار التي تقع على الأمة الإسلامية في عقيدتها تليس السحرة على الناس أنهم هم الذين ييدهم النفع والضرر، وهذان أيضًا من اختصاص الرب سبحانه فلا ينازعه فيها أحد، النافع هو الله والضرار هو الله سبحانه.

قَالَ الْعَلَاءِيُّ: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾ [الأنعام: ١٧].

قال ابن كثير رحمه الله:

«يقول الله مخبرًا أنه مالك الضر والنفع وأنه المتصرف في خلقه بما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه» ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾ كقوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۚ وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۚ﴾

(١) «فتاوى أركان الإسلام» للعثيمين رحمه الله ص (٢٨).

السحر

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى اللَّهُ وَلَا مُعْطِيٍّ لِمَا مَنَعَ اللَّهُ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْهُ الْجَدُّ»^(١) أهـ.

وتصديق بعض الناس أيضًا لهؤلاء السحرة العابثين في عقائد الناس، من الأضرار التي تقع على الأمة بسبب هؤلاء المخربين فهم يصرفون قلوب الناس عن رب الناس - سُبحَانَهُ وَتَعَالَى - فيجعلونهم يعلقون قلوبهم بأشياء لا تنفع ولكنها تضر العقيدة والتوحيد فيعطون تائم وأحجة مصنوعة من جلد الغزال والأقمشة وغيرها ويأمره أن يضعها إما في رقبته أو في جيبه أو تحت وسادته.

وقال النبي ﷺ: «مَنْ عَلَّقَ شَيْئًا وَكِلَإٍ إِلَيْهِ»^(٢).

وأرسل ﷺ في بعض أسفاره رسولاً أنه قال: «وَالنَّاسُ فِي مَقِيلِهِمْ لَا تَبْقَيْنَ فِي رَقَبَةٍ بَعِيرٍ قِلَادَةً مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةً إِلَّا قُطِعَتْ»^(٣).

وقال ﷺ: «إِنَّ الرُّقَى وَالْتَّمَائِمَ وَالتَّوَلَةَ شِرْكَ»^(٤).

وقال ﷺ: «مَنْ عَلَّقَ نَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ عَلَّقَ وَدْعَةً فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ»^(٥).

وقال ﷺ للذي رأى في يده حلقة من صُفْرٍ: «مَا هَذِهِ؟» فَقَالَ: مِنْ الْوَاهِنَةِ، فَقَالَ: «أَيْسُرُكَ أَنْ تُوَكِّلَ إِلَيْهَا؟ ابْنِذْهَا عَنْكَ».

(١) «تفسير ابن كثير».

(٢) رواه أحمد (٣٠/٤ - ٣١١)، الترمذي (٧٢/٢).

(٣) رواه البخاري (١٨/٤)، مسلم (١٦٣/٦)، أبو داود (٢٥٥٢).

(٤) رواه أبو داود (٣٨٨٣)، ابن ماجه (٣٥٣٠)، أحمد (٣٨١/١).

(٥) رواه ابن ماجه (٣٥٣١)، أحمد (٤٤٥/٤).

من أضرار السحر أنه يبعد الناس عن منهج الحق واتباع الإسلام والتوحيد كما أبعاد قوم فرعون عن اتباع الحق والإيمان بموسى عليه السلام أنه نبي مرسل من عند الواحد القهار - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - .

لأنهم قوم سوء ويتعاملون بالسحر ظن فرعون أن موسى ساحر، قال الطبراني: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ۚ﴾ (٥٦) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْوَسَىٰ ۚ فَلَنُؤَيِّنَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ ۚ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلَفُهُ ۚ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ۚ﴾ (٥٧) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ مَخْشَىٰ ۚ﴾ (٥٨) [طه: ٥٦-٥٩].

وهل هناك ضرر أكبر من أن تبتعد الأمة عن خالقها - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وتعصيه وتجاهر بمعصيته سبحانه، بفعل السحر وتصديق فاعليته.

والسحر ليس هو الذنب الوحيد الذي تفعله الأمة الإسلامية وليس هو الشرك الوحيد، فالذنوب كثيرة وأبواب الشرك كثيرة ولكننا أردنا أن نتصدر لنوع من أنواع الشرك، لنوع من كسور الأمة وما أكثر كسورها لعل هذا الكسر يجبر، ثم تحجر باقي الكسور وتقوم الأمة من كسورها نشيطة طاهرة صحيحة ليس فيها شائبة من شوائب الشرك حتى تستحق أن يدافع عنها الرب - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - .

ومن أضرار السحر بالأمة الإسلامية لو أنه تعرض أحد العلماء الربانيين أو أحد الدعاة لهذا السحر لاشك بأنه سوف يشغله ذلك السحر بنفسه ويشغله عن الدعوة والعلم وطلب العلم وتبليغه، وهذا ضرر لا يعود على العالم أو الداعية وحده بل على الأمة بأكملها.

الفصل الثاني

دور السحر في إضراره بالأسرة

لقد شرع الله - عَزَّ وَجَلَّ - الزواج ليكون الوسيلة الطبيعية السليمة الحكيمة لبقاء النوع واستمرار الحياة.

قَالَ الْعَالِي: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم: ٢١].

فإذا ما كان هذا الزواج قائماً على أسس دينية بعيداً عن المصالح المادية تحققت المودة والرحمة بين الزوجين وهاتان الصفتان هما أساس الحياة بين الزوجين فبدون المودة والرحمة بين الزوجين لا تدوم الحياة الزوجية.

فإذا ما أراد الشاب أن يبني أسرة صالحة نافعة لدينها ووطنها فعليه أن يحسن اختيار الزوجة الصالحة.

فالنبي ﷺ يوضح لنا أن من أهم الصفات التي تنكح المرأة من أجلها «الدين»، ومن لم يختَر على هذا الأساس أصيب بالفقر، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلِحِمْلِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ».

وسئل النبي ﷺ: أيُّ النساء خير؟ قال: «الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي نَفْسِهَا وَلَا فِي مَالِهِ».

فعلى الشاب الذي يريد بناء أسرة صالحة أن يتحرى التربية الصالحة والجو الأسري المستقر والعائلة التي عرف عنها الاستقامة، وأن يجعل دين الفتاة وخلقتها

السحر

الطيب في أعلى قائمة مطالبه فإن تحقق مع ذلك الجمال أو المال أو الحسب كان خيراً وبركة أما المال والجمال بدون الدين لا يصلح كمقياس للاختيار^(١).

لا يخفى على مسلم واع أن رسالة الأسرة المسلمة تدور حول الجوانب التالية:

الجانب الأول:

إشباع الغريزة الجنسية بين الذكر والأنثى بطريق مشروع إذ أن كبّت هذه الغريزة ومحاربتها يفضي بالإنسان إلى أن يقعد عن أداء دوره وعن أداء واجبه، وكذلك إطلاق العنان لهذه الغريزة لتشبع كما تسنح الفرصة وكما تسنح الظروف يؤدي إلى الخلل والفوضى في بنية المجتمع.

﴿قَالَ عِيسَى: وَمَنْ عَائِنِيهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾.

الجانب الثاني - إنجاب الأولاد:

لثلا ينقطع النوع الإنساني ولثلا ينقرض من على هذه الأرض قبل أن يأذن الله - سُبحَانَهُ وَتَعَالَى - بانتهاء الحياة.

﴿قَالَ عِيسَى: يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَجَدَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

الجانب الثالث:

بناء الفرد من الناحية الزوجية ومن الناحية الفكرية ومن الناحية البدنية بحيث توجد المسلمة الجامعة لكل خصال الخير المتأبئة على كل خصال الشر، المستأهلة لعون الله ونصره وتأيينه.

(١) نقل من مجلة «نور الإسلام» العدد الثالث والخمسون.

قَالَ تَجَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التَّحْوِيلُ: ٦].

والقرآن الكريم نقل عن نبي من الأنبياء أنه أطلق على البيت وعلى الأسرة «مصنعاً» كأن البيت يصنع الرجال، فهو دَعْلَمُ الْبَلَاءِ وهو يخاطب قومه «عاد» قال: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾.

يعني تبنون بيوتاً كأنها هي أشبه بالمصانع، وفي اللغة: البيت يطلق عليه (المصنع) لأنه فعلاً يصنع الرجال.

الجنب الرابع - رعاية الأبوين:

لا سيما إذا كانا في سن الشيخوخة، بل رعاية باقي أفراد العائلة والأسرة من العصبية والأرحام.

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾.

وَقَالَ تَجَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٣١ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۝٣٢ رَبُّكُمْ أََعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الْأَنْعَامُ: ٢٣-٢٥].

الجنب الخامس - تماسك وترابط واستقرار المجتمع المسلم:

عن طريق إحسان معاملة كل أسرة لجارتها.

﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (١)

(١) نقل من كتاب «الأسرة المسلمة والتحديات المعاصرة» ص (٧-١١).

السحر

هذه هي الأسرة المسلمة التي يتكون منها المجتمع المسلم والأمة الإسلامية بأكملها تأتي الحرب الخفية على تلك الأسرة من إبليس وجنوده من اليهود والنصارى والسحرة الأشرار على تلك الأسرة لأنها هي نواة المجتمع المسلم.

فإن فسدت الأسرة فسد المجتمع، وإن أفلحت الأسرة أفلح المجتمع المسلم. وأول أضرار السحر تأتي على أعمدة البيت أو لهم الزوج والزوجة، بفعل سحر التفريق، وهو من أشر الأسحار الهدامة للأسرة والمجتمع بأكمله، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾.

وهذا السحر من أخطر أنواع السحر، والحرب الخفية على الإسلام والمسلمين، يتخيل الزوج أن الزوجة منظرها قبيح أو لها رائحة متنتنة، والعكس ترى الزوجة زوجها رائحته متنتنة أو منظره قبيح.

أو بسحر العقم فيمنع - بإذن الله - إنجاب الذرية والترابط الأسري، أو سحر تعطيل الزواج للبنات أو الشباب أو بسحر مرض لأي فرد من أفراد الأسرة، أو بسحر تعطيل مصالح لعائل هذه الأسرة.

تلك الأسحار يترتب عليها أضرار عديدة هي:

أولاً- طلاق الزوجين وتشريد الأولاد بينهما.

ثانياً- عدم إنجاب الذرية مما يترتب عليه التعب النفسي للطرفين الزوج والزوجة.

ثالثاً- حرمان الشباب والفتيات من حقهم في الزواج الشرعي مما يترتب عليه تعطيل بناء أسرة جديدة وإنجاب ذرية تحمل هم هذا الدين أو لجوء الشباب والفتيات إلى فك تلك الشهوة بطريقة محرمة.

رابعًا- مرض العائل لتلك الأسرة ويترتب عليه احتياج الأسرة للمال لتسد حوائجها، ويترتب عليه إما سؤال الناس أو طلب هذا المال بطريقة محرمة سواء من قبل الزوجة أو الولد أو الفتاة، وقد يؤدي إلى لجوء الزوجة أو الفتيات إلى طلب ذلك المال بالزنا.

خامسًا- إهداء مال الأسرة في العلاج.

سادسًا- وهو الأهم من كل هذه الأشياء التي مرت وهو قد يوقع الأسرة في الشرك بأن تذهب إلى الساحر، وهذا هو الهدف من تلك الحرب الخفية أن تقع الأسرة والمجتمع في الشرك بالله.

أما إذا كانت الأسرة مبنية على القيم الدينية، كما بدأنا أول الكلام عن الأسرة لترتبت عليه أشياء مهمة وهي:

أولًا- يصبر الزوج على زوجته ويتحمل أذاها وتلك المعاناة التي يعانيها مع زوجته ولا يطلقها.

ثانيًا- تصبر الزوجة على زوجها وتحمل أذاه ولا تطلب منه الطلاق.

ثالثًا- تصبر الزوجة على الزوج إذا مرض ولم يستطع أن ينفق على أسرته فلا تطلب المال بما حرم الله.

رابعًا- تعف تلك الزوجة نفسها وتحفظ الرجل في عرضه.

خامسًا- يتحمل ذلك الشاب وتلك الشابة تعطيل زواجهما فلا يطلب كل واحد منهما فك شهوته بما حرم الله.

سادسًا- وهو المهم أن تحفظ تلك الأسرة دينها من الوقوع في الشرك بسبب إتيانهم الساحر.

سابعًا- أن تحتسب تلك الأسرة تلك المصائب والمعاناة وتصبر على قضاء الله.

البُصْلُ الثَّالِثُ

دور السحر في ضرره بجسد الإنسان

السحر مرض من الأمراض يضر بني آدم يمرضه ويقتله، لكن بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا من فضل الله وكرمه علينا، لو أن هؤلاء الأشرار بأيديهم فعل كل شيء لفسدت الأرض، وخير شاهد على ذلك قول أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ يَنْصُبْ وَعَذَابٌ﴾.

روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس قال: «قال الشيطان: يا رب سلطني على أيوب، قال الله تعالى: قد سلطتك على ماله وولده ولم أسلطك على جسده، فنزل وجميع جنوده فقال لهم: قد سلطت على أيوب فأروني سلطانكم فصاروا نيراناً ثم صاروا ماء فبينما هم بالمشرق فأرسل طائفة منهم إلى زرعهِ وطائفة إلى إبلهِ وطائفة إلى بقرهِ وطائفة إلى غنمهِ، وقال: إنه لا يعتصم منكم إلا بالصبر، فأتوه بالمصائب بعضها على بعض فجاء صاحب الزرع.

فقال: يا أيوب ألم تر إلى ربك أرسل على زرعك ناراً فأحرقته؟ ثم جاء صاحب الإبل فقال له: يا أيوب، ألم تر إلى ربك أرسل على إبلك عدواً فذهب بها؟ ثم جاء صاحب الغنم فقال له: يا أيوب ألم تر إلى ربك أرسل إلى غنمك عدواً فذهب بها؟

وتفرد هو لبنيه فجمعهم في بيت أكبرهم فيبيناهم يأكلون ويشربون إذ هبت الريح فأخذت بأركان البيت فألقته عليهم.

فجاء الشيطان إلى أيوب بصورة غلام في أذنيه قرطان، قال: يا أيوب ألم تر إلى ربك جمع بنيك في بيت أكبرهم فيبيناهم يأكلون ويشربون إذ هبت ريح

السحر

فأخذت بآركان البيت فألقته عليهم، فلو رأيتهم حين اختلطت دماؤهم بطعامهم وشرابهم، فقال أيوب له: فأين كنت أنت؟ قال: كنت معهم، قال: وكيف انفلت؟ قال: أن انفلت: قال أيوب: أنت الشيطان؟ ثم قال أيوب: أنا اليوم كهيتي يوم ولدتني أُمِّي، فقام فحلق رأسه ثم قام يصلي، فرن إبليس رنة سمعها أهل السماء وأهل الأرض، ثم قرع إلى السماء فقال: أي رب إنه قد اعتصم فسلطني عليه، فإني لا أستطيعه إلا بسلطانك، قال: قد سلطتك على جسده ولم أسلطك على قلبه، قال: فنزل فنفخ تحت قدميه نفخة قرح ما بين قدميه إلى قرفة فصار قرحة واحدة وألقى الرماد حتى بدا بطنه^(١).

الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعرضه للسحر:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

«قد أنكر هذا طائفة من الناس، وقالوا: لا يجوز هذا عليه، وظنوه نقصاً وعيباً، وليس الأمر كما زعموا، بل هو من جنس ما كان يعتريه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السقام والأوجاع، وهو مرض من الأمراض، وإصابته به كإصابته بالسم لا فرق بينهما، وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالت: «سُحِرَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى إن كان ليخيل إليه يأتي نساءه ولم يأتهم، وذلك أشد ما يكون من السحر»^(٢).

(١) «وقاية الإنسان من الجن والشيطان» ص (١٢٦-١٢٧)، نقلاً من كتاب «أكارم المرجان» ص (٢١١).

(٢) صحيح البخاري (٧٥٦٥)، ومسلم (٢١٨٩)، وابن ماجه (٣٥٤٥).

قال القاضي عياض رحمته الله:

«والسحر مرض من الأمراض، وعارض من العلل يجوز عليه صلوات الله عليه وسلم كأنواع الأمراض مما لا ينكر، ولا يقدح في نبوته، وأما كونه يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله فليس في هذا، ما يُدخل عليه داخله في شيء من صدقه، لقيام الدليل بالإجماع على عصمته من هذا، وإنما هذا فيما يجوز طرؤه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث لسببها، ولا فُضِّل من أجلها، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فقير بعيد أن يخيل إليه من أمور ما لا حقيقة له، ثم ينجلي كما كان»^(١) اهـ.

قال حافظ بن أحمد حكيم رحمته الله: «وله تأثير: فمنه ما يمرض ومنه ما يقتل ومنه ما يأخذ بالعقول، ومنه ما يأخذ بالأبصار، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه»^(٢) اهـ.

قال العثيمين رحمته الله:

«لا شك أن الجن لهم تأثير على الإنس بالأذية التي قد تصل إلى القتل وربما يؤذونه برمي الحجارة، وربما يروعون الإنسان إلى غير ذلك من الأشياء التي ثبتت بها السنة ودل عليها الواقع، فقد ثبت أن الرسول صلوات الله عليه وسلم أذن لبعض أصحابه أن يذهب إلى أهله في إحدى الغزوات - غزوة الخندق - وكان شاباً حديث عهد بعرس، فلما وصل إلى بيته وإذا امرأته على الباب فأنكر عليها ذلك،

(١) «الطب النبوي» لابن القيم ص (٩٥).

(٢) «معارج القول».

السحر

فقالت له: ادخل، فدخل فإذا حية ملتوية على الفراش وكان معه رمح فوخزها بالرمح حتى ماتت وفي الحال - أي: الزمن الذي ماتت فيه الحية - مات الرجل فلا يدري أيهما أسبق موتاً الحية أم الرجل، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ فنهى عن قتل الحيات التي تكون في البيوت إلا الأبر وذا الطفتين^(١) اهـ.

ثم قال ﷺ: «وهذا دليل على أن الجن قد يعتدون على الإنس وأنهم يؤذونهم كما أن الواقع شاهد بذلك، فإنه قد تواترت الأخبار واستفاضت بأن الإنسان قد يأتي إلى الخربة فيرمي بالحجارة وهو لا يرى أحداً من الإنس في هذه الخربة، وقد يسمع أصواتاً وقد يسمع حفيفاً كحفيف الأشجار وما أشبه ذلك مما يستوحش به ويتأذى به، وكذلك أيضاً قد يدخل الجنى إلى جسد آدمي، إما بعشق أو لقصد الإيذاء، أو لسبب آخر من الأسباب ويشير إلى هذا قوله: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾.

وفي هذا النوع قد يتحدث الجنى من باطن الإنسي نفسه ويخاطب من يقرأ آيات من القرآن الكريم، وربما يأخذ القارئ عليه عهداً ألا يعود إلى غير ذلك من الأمور الكثيرة التي استفاضت بها الأخبار وانتشرت بين الناس^(٢) اهـ.

والسحر مفعول بمواد نجسة وضارة مثل مني الرجل أو دم حيض المرأة ويفعل ذلك الساحر الخبيث عليها طلاسـم السحر والشرك ثم يكلف من أتى إليه أن يضعها في طعام من يريد أن يؤذيه، أو يكلف الجنى بفعل ذلك وهذه المواد إذا

(١) «فتاوى أركان الإسلام» لابن عثيمين ص (٧١).

(٢) المصدر السابق ص (٧١).

دخلت في جسد الإنسان فإنها تفتت الكبد وتهرى المعدة، وتفشل الكلى.. قرأت على شاب وكان ذلك الشاب على خلق واستقامة،- أحسبه كذلك ولا أزيه على الله- ذلك الشاب تعرض لمرض شديد حتى أقعد منه، ذهبت إليه ثم قرأت عليه إذ به جنني نصراني، قال لي: أتيت له حتى أمرضه وأقتله، قلت له: لماذا؟ قال لي: أنا مأمور أمرني القسيس، ثم قال: إن السحر في جميع بدنه، قلت له: أتق الله فيه، قال لي: سوف أتركه، وأخذت العهد عليه، ثم خانني، جاءني أحد أقاربه في الصباح الباكر وقال لي: إن فلان وجهه مصفر وجسده بارد ولا يتحرك ذهبت إليه، إذ به ميت، قلت له: ماذا حدث؟ قال لي: سمعته قرابة الفجر وهو يقول: دع روحي اترك روحي، ولكن ذلك الجنى الكافر لم يرحمه وقتله، وكم من شاب وشابة فقدوا حياتهم بسبب السحر والجن، أسأل الله العزيز سبحانه أن يجعله من الشهداء.

قال ﷺ: «فَنَاءُ أُمَّتِي بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الطَّعْنُ قَدْ عَرَفْنَاهُ فَمَا الطَّاعُونُ؟ قَالَ: «وَحَزْزُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَفِي كُلِّ شُهَدَاءٍ»^(١). ومعاناة الأخوات المسلمات العفيفات الطاهرات من تلك الاستحاضة هي أيضًا بسبب السحر ومس الجن، قال ﷺ: «إِنَّهَا هِيَ رَكْضَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(٢)، والقصص كثيرة ولكن حتى لا يقال أننا نستعرض بطولاتنا.

(١) سبق تحريجه.

(٢) انظر «صحيح الجامع» (٣/١٩٦).